١. الطريقة المباشرة

نتيجة للتذمر الذي كان قائما من طريقة القواعد والترجمة لاعتماد هذه الطريقة على المبادئ المنطقية الفلسفية، تطورت الدراسات العلمية في علم اللغة وعلم النفس اللذين اتضحت معالمهما وتكونت مناهجهما ومدارسهما في أواخر القرن التاسع عشر، فبدأت تؤثر في ميادين التعليم، وبخاصة تعليم اللغات الأجنبية، وكان الاعتقاد السائد هو أن تطبيق المعارف العلمية في علم اللغة وعلم النفس على تعليم اللغة سوف يكون أسرع في التعلم، وأفضل في النتيجة، من الاعتماد على تقديم اللغة بطريقة عفوية غير معدة ولا مخطط لها.

أي أن بدايات هذه الطريقة كرد فعل للطريقة النحو والترجمة مع بداية القرن العشرين في أوروبا ثم في الولايات المتحدة، وكما هو واضح من التسمية تعتمد هذه الطريقة على تعليم اللغة الجديدة مباشرة، ودون اللجوء للغة أخرى التي غالبا ما تكون اللغة الأولى، واستمدت تسميتها من حقيقة أن المعنى يرتبط مباشرة باللغة الجديدة دون المرور بعمليات الترجمة إلى اللغة الأولى.

وقد ظهرت هذه الطريقة اعتمادا على طريقة بافلوف وأنصاره في الارتباط الشرطي. التي ترى أن الطريقة التي يتعلم بها الدارس اللغة الثانية تشبه الطريقة التي يتعلم الطفل بها لغته الأم. بمعنى أن الدراسة الواعية المبرمجة لقوانين اللغة ليست شرطا ضروريا لاكتساب أو تعلم لغلة معينة. حيث يقول أحد العلماء في هذا الصدد: "إن تلقين قوانين اللغة للمتعلم تعد تدخلا غير مشروع في وظيفة الدماغ في تعلم اللغة".

كما كان لكل من علمي النفس والأنثروبولوجيا الدور الكبير في بروز هذه الطريقة. ويعتبر فرانسوا جوان من آباء هذه الطريقة في القرن التاسع عشر ... وغاية القصد من هذه الطريقة تطوير القدرة على التفكير باللغة الهدف من خلال الحوار والقراءة، وعليه فإن التهجئة والنطق السليم من أهم اعتباراتها.

تعتمد هذه الطريقة على تعليم اللغة الجديدة مباشرة دون وساطة لغة أخرى، فالمدرس إذا أراد تدريس مفردات مثل: كرسي وباب ونافذة، ما عليه إلا أن يعيّن هذه الأشياء في الفصل وأمام الطلاب معلنا أن هذا كرسي وهذا باب وهذه نافذة، وإذا أراد أن يعلم بعض أفعال الحركة مثل : سار وأكل وكتب، فما عليه إلا أن يقلد الفعل ويقول أنا أسير، أنا آكل أنا أكتب.

٢. مميزات الطريقة المباشرة

يرى أصحاب هذه الطريقة أن الطفل يتعلم اللغة الأولى من فرط تعرضه لها، وعليه فإن دارس اللغة الثانية يجب أن توفر له فرص ممارستها دائما حتى يتمكن منها، وعليها نجدها تتميز بما يلي:

× تعطي الطريقة المباشرة الأولوية لمهارة الكلام بدلا من مهارة القراءة والكتابة والترجمة، على أساس أن اللغة هي الكلام بشكل أساس.

× تتجنب هذه الطريقة استخدام الترجمة في تعليم اللغة الأجنبية وتعتبرها عديمة الجدوى، بل شديدة الضرر على تعليم اللغة المنشودة وتعلمها

× تحذف هذه الطريقة اللغة الأولى في تعليم اللغة الأجنبية

× تستخدم هذه الطريقة الاقتران المباشر بين الكلمة وما تدل عليه، كما تستخدم الاقتران المباشر بين الجملة والموقف الذي تستخدم فيه. ولهذا سميت هذه الطريقة بالطريقة المباشرة.

× لا تستخدم هذه الطريقة الأحكام النحوية، لأن مؤيدي هذه الطريقة يرون أن هذه الأحكام لا تفيد في إكساب المهارة اللغوية المطلوبة

× تستخدم هذه الطريقة أسلوب " التقليد والحفظ " حيث يستظهر المتعلم جملاً باللغة الأجنبية وأغانٍ ومحاورات تساعدهم على إتقان اللغة المنشودة.

٣. أهداف الطريقة

لكل طريقة ملامح وأهداف تصبو إليها وتسعى للصول إليها وتطبيقها، نذكر منها:

_ الهدف من تعلم اللغة الثانية، وفقا لهذه الطريقة، وهو الاتصال بها مع الناس، بشكل طبيعي عفوي.

_ الحرص على أن يقود تعلم اللغة الهدف أغلى التفكير بها في أقصر وقت ممكن، دون اللجوء إلى الترجمة من اللغة الأم وإليها.

_ الاهتمام كثيرا بالجوانب الشفهية من اللغة، وتأخير الجوانب المكتوبة منها.

_ بناء على ذلك، فإن المهارات اللغوية الأربع ينبغي أن تقدم لمتعلم اللغة الهدف مرتبة في مراحل زمنية مشبهة لترتيب مراحلها لدى الأطفال في اكتساب لغتهم الأصلية، بحيث تبدأ بفهم المسموع فترة كافية، ثم القراءة فالكتابة في مراحل متأخرة.

_ الاعتقاد الجازم بأن اللغة الثانية يمكن تعلمها بطريقة طبيعية مباشرة مثلما تكتسب اللغة الأم، فالطفل يتعلم لغته الأم من خلال المواقف الاجتماعية التي يمر بها.

_ ينظر أصحاب هذه الطريقة إليها بوصفها طريقة تعلم Learning Method، لا طريقة تعليم Teaching Method حيث يؤكدون على ضرورة مشاركة المتعلم لاكتساب الخبرات الجديدة بنفسه.

_ الاهتمام بتعليم المفردات والجمل الشائعة في محيط الطالب، والمرتبطة بحاجاته اليومية في المدرسة، ثم في المنزل، ثم الانطلاق بعد ذلك إلى الحياة العامة.

_ الاهتمام بتقديم العبارات والجمل الجاهزة من خلال سياقات طبيعية شائعة.

_ التدرج في تقديم المادة اللغوية من المحسوس إلى المجرد، ومن المعلوم إلى المجهول، من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقد.

_ تقدم مواد اللغة من كلمات وعبارات وحمل في بداية الأمر من خلال نصوص حوارية تكون قصيرة ومفهومة.

_ بيان معاني الكلمات من خلال المفردات، وتعليم العبارات والجمل من خلال الصور والحركات والتمثيل، وليس عن طريق الشرح أو الترجمة.

عدم تدريس القواعد مباشرة بل يتوصل إليها المتعلم بنفسه من خلال الأمثلة والنصوص المقروءة والمواقف الطبيعية، اعتمادا على مبدأ النحو الوظيفي.

_ الالتزام باستعمال اللغة الهدف من اللحظة الأولى، واستبعاد اللغة الأم أو أي لغة بسيطة، مع عدم اللجوء إلى المعاجم ثنائية اللغة، والاعتماد على كثرة القراءة من نصوص سهلة مكتوبة باللغة الهدف.

_ الاهتمام بالكتاب المقرر والالتزام بخطة الدرس، لأنهما وُضعا وفق معايير مدروسة، واختيرت فيها الكلمات والجمل والصيغ والوظائف النحوية لتقدم في مراحل محددة.

_ إعطاء المتعلمين فرصا لممارسة اللغة الهدف داخل الفصل، وأن يكون كلامهم أكثر من كلام المعلم.

٤. وظائف المعلم والمتعلم والمواد التعليمية

١.٤ **وظائف المعلم:** المعلم هو الموجه لأنشطة المتعلمين، وهو المنفذ للمنهج، وفق الخطوات المرسومة له سلفا.

٢.٤ **وظائف المتعلم:** على الرغم من شعور الطالب بالراحة والحرية، ومشاركته في الأنشطة داخل حجرة الدرس، إلا أن له وظيفة محدودة، فهو في الحقيقة مسير غير مخير، بل مقيد بما يمليه عليه واضعو المنهج ومؤلفو الكتاب المقرر، بتوجيه ومراقبة من المعلم.

٣.٤ **وظائف المواد التعليمية:** المواد التعليمية هي السلة العليا وهي سلاح المعلم الذي يستعمله وفق تعليمات وخطط وخطوات محددة، لا يستطيع تجاوزها، والسبب في ذلك أن عناصر هذه المواد ومفرداتها ومكوناتها وُضعت وفق تدرج معين يناسب مراحل النمو اللغوي لدى المتعلم، كما يتفق مع مراحل النمو الطبيعي للطفل في اكتسابه لغته الأم.

٥. مزايا الطريقة المباشرة

= تأكيد هذه الطريقة على الجواب السمعية البصرية في تعليم اللغات، كما حرصت على استخدام الوسائل البصرية المعينة داخل الصف.

= الاهتمام بالمعنى والجانب الطبيعي من اللغة، ونبهت إلى خطورة المواقف اللغوية والاجتماعية المصنوعة التي لا تؤدي إلى تعلم حقيقي.

= نادت بتكثيف الأنشطة داخل حجرة الدراسة، وتحويل الفصل إلى جو شبيه بالجو العام في بيئة اللغة الهدف.

= تشجيع الطلاب على التفكير باللغة الهدف _وهو أرقى مستويات التعليم_ وحذرت من الترجمة التي تقود إلى التداخل اللغوي، كما قللت من الشرح الممل.

= كثير من أنشطة هذه الطريقة يساعد على بناء الكفاية اللغوية، إذا طبقت تطبيقا سليما.

= تعمل على اختيار الكلمات والعبارات والجمل الشائعة، وتقديمها بأساليب متدرجة، يساعد في فهم اللغة واستعمالها بطريقة سليمة، يشجع المتعلمين على الاستمرار.

٥. مآخذ هذه الطريقة المباشرة

كما قلنا في عديد المرات أن لكل طريقة مآخذ وعيوب، ولعل أبر ز ما يؤخذ على هذه الطريقة:

~ الاعتقاد بأن الأجنبي يستطيع أن الأجنبي يستطيع تعلم اللغة الثانية بالطريقة التي يكتسب بها الطفل لغته الأم. وتلك مغالطة صريحة وإغفال للفروق بين المتعلمين في الحالتين.

~ بالغت الطريقة في مفهوم العلاقة المباشرة بين الكلمة والشيء وبين العبارة والفكرة، واهتمت بالمفردات، وأهملت دراسة التراكيب النحوية، مما يؤدي إلى فقدان التوازن بين عناصر اللغة.

~ اعتمدت على النماذج المقدمة في الحوار، وهذا قد يؤدي إلى لجوء الطلاب إلى الحفظ والترديد، الذي تتبعه طريقة القواعد والترجمة.

~ أكد أصحاب هذه الطريقة على تجنب الترجمة، ما يجعل المعلم محصورا في مفردات وعبارات وتراكيب محدودة ومحسوسة، لا يتعداها إلى مفردات وعبارات ذات مفاهيم مجردة.

~ التعليم بهذه الطريقة يحتاج إلى معلم يتمتع بكفاية عالية في اللغة الهدف، مع مهارة في التعامل مع الطلاب، وتوزيع الأدوار عليهم، ولا شك أن هذا عبء ثقيل ينوء به المعلم الكفء، فضلا عن غيره.

~ على الرغم من الأعباء التي يقوم بها المعلم، فإنه لا يشعر بالحرية في التصرف في المواد اللغوي والأنشطة، لأن هذه الأمور محددة له في المنهج والكتاب المقرر.

~ هذه الطريقة لا تراعي كثيرا من الفروق الفردية بين المتعلمين، وإن ادّعى أصحابها غير ذلك، فعندما يتحدث المعلم ويتحرك بسرعة داخل الفصل مثلا، قد يشاركه بعض الطلاب ويتابعونه بالسرعة المطلوبة، لكن بقية الطلاب قد يصعب عليهم ذلك، فتفوتهم فرص كثيرة، وقد يتأخرون عن الركب.

~ التدريس بهذه الطريقة يتطلب وقتا طويلا جدا، قد يستمر سنوات، مما يتطلب جهودا متواصلة، ومبالغ مالية كبيرة.

~ بناء على ذلك فإن هذه الطريقة قد تصلح لتعليم الصغار لغة ثانية، بيد أنها لا تصلح لكثير من المتعلمين الكبار، وذلك لصعوبة استمرار الكبير في برنامج اللغة فترة طويلة.

~ هذه الطريقة لا تصلح للفصول الدراسية ذات الأعداد الكبيرة من الطلاب،بل ينبغي ألا يتعدى عدد طلاب الفصل خمسة عشر طالبا.

~ أخفقت في تدريس الجوانب المكتوبة بالرغم من أهميتها الكبيرة في العملية التعليمية.

ختـــــــــــامـــــــــا

يمكننا القول أن هذه الطريقة كانت ناجحة إلى حد ما لكن محور بحثكم يتعلق بسؤال مفاده: كيف يتم تقديم المادة في حجرة الدرس وفق الطريقة المباشرة؟